مولد إنسان الكمال

للعارف بالله سيدي السيد
محمد بن السيد المختار الشنجيطي التيجاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الظاهر في تنزُّلاته العلية، بنفسه لنفسه على نفسه في الأحدية، الرامز لتفصيلها والمُصرِّح بقوله تعالى رَفيع الدَّرجات في الإجمال، والصَّلاة والسَّلام على وحْدةِ وجوده، وواحدية شهوده، في التنزُّلات الإيجابية والإمكانيَّة سُلَّم التَّدَلِّي ومِعراج التَّرقي، في تنزُّلات الذَّات والصفات والأفعالِ، مفتاح مِغْلاق الوجود من كنز العماءِ بالمحبَّة الذاتية، إنسان الكمال في المراتب الحقِّيَّة والخَلْقِيَّة، آدم الصورة وعينِ المثال، وعلى آله وأصحابه ينابيع الإمداد، وصهاريج معارف الإيجاد، إلى الفُيُوضات الربَّانِّية، خصوصاً البِضْعة الطاهرة والسُّلالة الفاخرة، المغموسة في عينِ ذاك الجمال.

وبعد، فيقول نِبْراسنا الظَّاهر، وقُسُّنا ونِسْطاسُنا الماهر، منوِّر الظاهر والباطن وجهة العبودية، مِيزاب الحقائق، كشَّاف الدقائق، موضِّح الخفيِّ، مزيل الإشكال، ذو النَّسب الصريح والعقل الرَّجيح، والنُّطق الفصيح، والصدر الفسيح، وقَّاعُ الأوضاع الشرعية والحقيَّة، مَنْ مودتُهُ إيمانٌ، وبُغْضه خُسران كما ورد في الأخبار بلا إشكال، مُظْهر معارف الحقيقة المحمدية، ناشِر مطوِي الطريقة التيجانية، باذِل جهده فيها بالكُليَّة، وارد عَذْبها، شارِب صافي فَيْضها، المُسْتَسْقِي من رحيقها المختوم، وسلسبيلها الزُّلال، مُربِّي المُريدين، رافِعُ هِمَّة السالكين، منوِّر بصائر المُشاهدين، موصِّل أرواح المقرَّبين إلى الحضراتِ العليَّة، وجهةُ الحق طريق العبودة صراط النَّجاة، ميزان الحق، عين الوُصلة إلى الله، حبل الاتصال، سيدنا السيد محمد بن المختار المختار عن أقواله وأفعاله من الحضرة القدسية، المُلامتيُّ الأكبر الطاهر المطهَّر، عن الأدناس والأرْجاس في القِدَم والآزالِ، سابِكُ ميلادِ الحقيقة المحمديَّة في تنزُّلاتها مع مؤلِدِ نور الشريعة في أطواره البَشريَّة، فما أبهى سَبْكَهُ مع صحَّة معانيهِ، وجزالة مبانيه، وما ألَذَّ سماعه، فللَّه درُّه حيث قال:

أستفتحُ باب الكرمِ والجُود بأعظم أسماءِ الذَّات العلِيَّة وأستعين بقوَّة الملك المعبود العزيز المتعال، وأبذُلُ وُسْعي في حمد من وفَّقني على نظم هذه الدُّرر السَّنِيَّة. شاكِراً لأنعمه من حيث لا أُحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه بنُعُوتِ الكمال مُهْدياً أكمل الصلوات وأزكى التسليمات على قِبْلة التجلِّيات الذاتية، مُترضياً على أرباب جمعيته من الصحابة والبنين والزوجات والآل، مُسْتمطراً أيادي الكرمِ والجودِ من فيْضِ الرَّحماتِ

الإلٰهية، مُهْتدياً بِسُرُج عنايتها إلى التقاط دُرَرٍ تُنْظَمُ في مَوْلِدِ إنسان الكمالِ، راجياً إدراجي فيمن توَّجوا ألفاظهم بنسج حُلَلِ هاتيكَ المحاسن الصِّفاتية، مُستمداً من فيض قُطبِ الوِراثة سيدي أحمد التّيجاني تاجِ أهلِ الكمالِ، بادياً بذكر تجلي الظهور من كنزِ عماءِ الخفاءِ للأعيان العِرفانية، قائلاً: لما أراد الله إظهار نور الوجود تجلَّى بنفسه على نفسه بملابس الجلال والجمالِ، فظهرت أحدِيَّةُ الحقِّ بوحدة الحقيقة الكُليَّة، فتعيَّن النُّور الأول مُتطوِّراً بمظاهر الأعيان على غير مثال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

فمن مظاهِرِ ذلك النور: روحانية الهباءِ المتحقِّقة بالحقيقة المحمديَّة، التي ظهر منها العرشُ والكُرسيُّ واللوح وقلم التفصيل والإجمال، فانهار هَيولَى العالَم على حسب ظهوراتِ الأعيان العلمية، فبدت الجواهر ممدودة بأعراضها الحِسِّيَّة والمعنوية في الحالِ، وانْبَثَّتْ هَيُولَى البسائِطِ، وتركَّبَتْ منها الأجسامُ الفلكيَّة ثم دارت بيد القُدرة متفاوتة في العِظَم على حسبِ حِكْمَة الكبير المُتعال. فلم تزل تدور بما شاء الله أن تدور به من العوالم الروحانية والجسمانية، وحسبك قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: الآية ٨] فإنه صريح في هذا المجال. ولما دارت أفلاكُ السَّيارة منوَّرة بأنوارها الشَّمسية، مُقَسِّمة للزمان بين الليل والنهار مُتَوالِجَين بحكمة ذي الجلال، نُتِجَ من توالُجِهما بسير السيارة عناصر المولَّداتِ الجِسمية، فخلق الله بيده المُنَزَّهة ذات صَفِيِّهِ آدم أبي البشر من صلصالٍ، ظاهرةً على صُورة الهيبة الإلٰهيَّة الرَّحمُوتية ونفخ فيه من روحه كرامة لحبيبه المتوَّج بالقَبُول والإجلال، فقام بشراً سوِيّاً مَحْفوفاً بتلك الأنوار الجماليّة، فجعل صُلْبَهُ مقرّاً للدُّرَّة اليتيمة المتطوِّرة بظهور صور الأشكال، فاصطفَّت الملائكة وراءَهُ لشهود هاتيكَ الأنوار القدسية، فطلب من الله أن ينوِّر بها جبهته لتكون الملائكة له في استقبال، فنقلها فتحوَّلت الملائكة لتحوُّل تلك الطَّلعة النورية، فأمَرَهُم الحق بالسجود له لسِرٍّ قَصُرَ العقل عنه وصار في عِقال، ثم خلق حواءَ من ضِلعِهِ لسرِّ تطوُّرِ نُور الوجود في الأرحام البشريّة، فزوَّجه الله بها ليكون تنقُّلُ تلك الدُّرَّة في نكاحٍ من حلالٍ، وكان مهْرَها الصلاةُ على النبيِّ ﷺ صيغةً مَرْضِيَّة، فدنا منها فانتشرت بينهما الذُّرِّيَّة من نساءٍ ورجالٍ، ولم تزل تلك الدُّرة مُنْتقلة في الأصلابِ الطاهرة والأرحام الزكية، إلى أن انتهت إلى صُلْبِ الذَّبيح عبد الله سيِّد بني هاشم في الحال والمآل.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

فهو ﷺ «محمد» بن عبد الله الذبيح الثاني بعد الحضْرَةِ الإسماعيلية، ابن عبد المطلب الذي فدى عبد الله بمائة من الإبل فصارت دِيَةً في الاستقبال، ابن هاشم سُمِّي بذلك لِهَشْمِهِ الثَّريد للوفود الأبطحيَّة، ابن عبد مناف بن قُصيٍّ الذي ردَّ الله إليه مفتاح الكعبة من غير نَكال، ابن كِلابٍ بن مُرَّة صاحب الخِصالِ الأَرْيَحِيَّة، ابن كعبٍ بن لُؤَي بن غالبٍ ذي المحاسن في سائر الخِلال، ابن فِهْرٍ وهو الذي تُنْسب إليه سَدَنَةُ العصابة القُرَشية، ابن مالِكٍ بن النَّضْرِ بن كِنانة ـ وهو صاحب الاصطِفاء والجمال، ابن خُزَيمة بن مُدرِكة المدْروكِ قَدْرُهُ عند القبائِلِ العربيَّة. ابن إلياس وهو الذي سنَّ هَدْيَ النَّعَمِ للبيت والحرمِ وأعلن النبيُّ في صُلبه بتسبيح ذي الجلالِ، ابن مُضر بن نزارِ بن معدٍّ بن عدنان وهو الذي انتهت إليه صحَّة النَّسب المَرْوِية، وما فوقه من رفع النسب أمسكت عنه يدُ السُّنَّةِ ألسِنَة المقال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

ثم أكرم الله بتلك الدُّرة المصونة صدفَةَ السيدة الجليلة آمنة الزُّهْرية، بعد أن تزوَّج عبد الله بها لسِرٍّ لو شرحناه لطال، في أول يوم من رجب الأصبِّ فصُبَّتْ عليها المواهبُ اللَّدُنِّيَّة، فبنَى عبد الله بِعُرْسه، فلما حَظِيت بقُرْبه وأُنسِهِ انتقلت إلى رَحِمِها دُرَّةُ الكمال، فظهر لحملها به في المُلكِ والملكوتِ والرِّحابِ العرشيَّة، من العجائِبِ ما قَصُرت عنه العقول وبعد عليها السَّبْحُ في ذلك المجال، ودارت في أرجاءِ الكون الأفراحُ وتباشَرَتِ الأشباح والأرواح ببلوغ أشرَفِ أُمْنِيَّة، وزُيِّنَتِ الجِنانُ وتمايلَتْ طَرَباً حورُها الحِسانُ وحَمِدْنَ الله بلسانِ الحالِ والمقالِ، ونطَقَتْ بحَمْلِهِ دوابُّ قُريشٍ وسائر الحيوانات البرية والبحرية، وصاح إبليس لجنده وقال لهم: نُكِّسَت الأصنامُ وسُدَّت طُرُقُ الضلال. وبشَّرَتْ هواتف الحق آمنة بأنها حَمَلتْ بسيِّدِ البرِيَّة، وقالوا لها: سمِّيهِ مُحَمَّداً، فإنه المحمود في الأزل وفيما لا يزال. وقالت: ما وجدتُ لِحَمْله ثِقَلاً إلا أنِّي أنكرتُ تأخُّر طُهْري عن عادته الوقتيَّة ولم أزل في كل شهرٍ أرى رسولاً يُبشِّرني بأنه سيِّدُ الأوَّلين والآخرِينَ وصَفْوَةُ ذي الجلال. وأعلنتِ الجِنُّ بِيُمْنِ زَمَنِهِ وتعطَّلتِ الكنائِسُ برَهْبَةِ رُهْبانها من الهيبة الإلٰهيَّة، وأخْصَبَتِ الأرضُ بعد جَدْبِها وانتعشَتِ الحيوانات بعد الهُزالِ، وبعد

شهرين من حَمْلِهِ تُوُفِّي أبوه عبد الله بدار الهجرة المحمِيَّة، عند أخواله بني عَدِي بن النَّجار وعَظُمَتْ مُصيبَتُهُ على النساءِ والرجالِ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينْيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

وبعد تمام تسعة أشهرٍ من حَمْلِهِ تهيَّأت لِمَقدِمِ مؤلِدِ العوالِمُ العلويّة والسفلية، فحضرت مريمُ وآسية وحورُ حَظِيرة القدسِ بلا ريب ولا إشكال، فجاءها المخاضُ في تلك الليلة المباركة السَّنِيَّة فوضعته ﷺ كالبدر في ليلةِ الكمالِ.

بُشْرَى لِسائرِ الوجود ... بِوضْعِ قِبْلَةِ الشُّهود
حقّاً علينا يا وُفُود ... شُكْرُ الإلهِ بالسُّجود
والكونُ صار في طَرَب ... وقد بدا فيه العَجَبْ
لأنَّ ذاك قد وَجَبْ ... لمن به العُلا يَسُوْدْ
ومكَّة قد تُجْتَلَى ... تُباهِي سائِرَ المَلا
واهْتَزَّ بيتُ ذِي العُلا ... بُشْرَى برحمةِ الوَدُوْدْ
بوضْعِهِ السَّامي السُّعاد ... قد بَلَغُوا كلَّ المُراد
وزُيِّنَتْ كلُّ البلاد ... بل أشْرَقَت ذات الوجود
والكونُ صار في حُبُور ... وتوَّجَ الدِّينَ السُّرور
والقَفْرُ قد سامَى البُدُور ... تِيهاً على سعْدِ السُّعُود
ولِربيعِ الأفْخَرِ ... فَضْلٌ يُرَى بالبَصَرِ
أنظُرْ جمالَ الزَّهَرِ ... وما سَرى لكلِّ عُود
تَلْقاهُ عينُ الرَّحْمَةِ ... والآيَةُ الكُبْرى التي
تنزَّلَتْ بالبَعْثَة ... للعارِفينَ في شُهُود
وقد بدا واستَظْهَرا ... فرداً من أفْرادِ الوَرَى
وحلَّ في أُمِّ القُرَى ... قِبْلةِ وجهَةِ السُّجُود
ومع ذاك لم يَزَلْ ... في غَيْبِهِ حينَ نَزَلْ
وربُّهُ عزَّ وجَل ... جعلَهُ عينَ الوُجُودْ
وكلُّ سامِي المَشْهَدِ ... رآهُ عينَ المَقْصِدِ

وهـــو حِـــجـــابُ الـــصَّـــمَـــدِ مُـــنَـــزَّهٌ عـــن الـــقُـــيُـــود
وحـــيـــثُـــمـــا تـــوجَّـــهَـــتْ عـــنـــايـــةٌ مـــنـــه بَـــدَتْ
وبَـــيْـــعـــةٌ لـــه غَـــدَتْ بـــيـــعـــةُ ربِّـــنـــا الـــوَدُود
صـلَّـى عـلـيـهِ مَـنْ ظَـهَـرْ بـكـلِّ شـيءٍ وأمَـرْ
بـهـا دوامـاً الـبَـشَـرْ كـذا الـمـلائِـكَ الـجُـنُـوذْ

* * *

أزكَى الصَّلاةِ مع السَّلامِ الأطْهَرِ يغشى غِياثَ الخلقِ يومَ المَحْشَرِ
ضاءَ الوجودُ بِوَضْعِ طهَ الأنْوَرِ الهاشِمِيِّ الأرْيَحِيِّ الأزْهَرِ
طُوبَى لمن سنُّوا القيامَ لِوَضْعِهِ يا فَوْزَهُمْ يا فَوْزَهُمْ في المحْشَرِ
فالرُّسْلُ والأملاكُ قاموا حُرْمَةً لجلالِ أحمد ذي اللِّوَا والكوثَرِ
والكونُ يهتِفُ بالسُّرور مُرَحِّباً يا مَرْحباً يا مَرْحَباً بالأفْخَرِ
واسْتَنْشَقَت رَيَّا شَذا مِيلادِهِ أهلُ السَّما والأرضِ أضْوَعَ مَعْطِرِ
وتزاحَمَتْ أرواحُ أرجاءِ العُلا وتباشَرَتْ وتسابَقَتْ للمَحْضَرِ
وكذاكَ أفلاكُ العناصِرِ فاخَرَتْ بوُضُوعِ مَن أعلا مقام العُنْصُرِ
والدِّينُ يَرْفُلُ في ملابِسِ حُسْنِهِ والنَّضْرُ يَخْدِمُ عِزَّهُ في الأعْصُرِ
اللّهُ عَظَّمَ قَدْرَ هذا المولِدِ بل قدرَ من يَشْدُو وقدرَ الحُضَّرِ
لمُحمَّدٍ دانَ الوجودُ بأسْرِهِ وهو التَّعَيُّن بالظُّهُورِ الأكْبَرِ
بل قِبْلَةُ التوحِيدِ في مِحْرابِها فَرْدٌ تعيَّنَ في شُهُودِ المبْصِرِ
وهو الذي وهو الذي وهو الذي فاحْكُمْ بما شِئْتَ وزِدْ واسْتَكْثِرِ
هذا الذي حقّاً له الفَخْرُ انْتَمَى لولاهُ ما كان الوجودُ بمُظْهَرِ
ثمَّ الصلاةُ مع السلامِ الأطْهرِ يَغْشَى غِياثَ الخَلْقِ يومَ المَحْشرِ

فأتى ﷺ نوراً ليس كمثله شيء من الأنوار الخلقيَّة، واضِعاً يديه رافِعاً رأسه إلى السماءِ بسكِينةٍ وابتهال، ثم عطس وشمَّتَتْهُ الملائكةُ النُّورانية، ووُضِعَ ﷺ مختوناً مقطوع السِرِّي مَكْحولاً من غير اكتِحال، وظهر عند ولادته من الإرهاصات الغيبية، ما مُلِئت منه الدفاتر وكلَّتْ عن حصرِهِ ألسُنُ المقال، وابتهجت العوالِمُ ونُشِرتِ المعالِمُ ودارت كؤُوس الهناءِ بُكْرَة وعشِيَّة، وانتشر النور ودام الأُنْسُ والسرور على بساط الدَّلال، وخطب خطيبُ الفلاح على منابر الصلاح: هنيئاً لمن آمن بمحمَّد سيِّد الأمَّة الخيريَّة. والكُفرُ قد قُصِمَ ظهره ودام ذُلُّه وقهْرُهُ وأصبح في أشدِّ نكال، وزارته طيور الملكوتِ حتى غطَّتْ باب حُجرة أمه بأجنحتها ومناقيرها الدُّرِّية، ومُدَّ ديباجٌ بين السماء والأرض واصْطَفَّت

حولَهُ الملائِكَةُ في صورَةِ الرِّجال، وسُمِعَ قائِلٌ يقول: خذوه واحْجبُوه عن إدراكِ الأعينِ الحِسِّية. وبعد ذلك قيل: أين ذهبتم به، فقال: إلى مشارق الأرض ومغاربها أسرع من خَطْرَةِ بال، وحُفِظَتِ السماء من استراق السمع ونزلت إليه سُرُجُها الكوكبيَّة، وانصدع إيوانُ كِسْرَى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفَةً في الحال، وخمدت نارُ الفرس وغاضَتْ بُحَيرة طبَرِيَّة، وفاض وادِي سماوَةَ بالمياهِ العَذْبَةِ وسال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينْيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

وخرج معه نورٌ أضاء منه الأُفقُ حتى رأتْ أهل البطحاءِ القصور الشاميَّة والقيصرية، واستدعت أمه جدَّه عبد المطلب من الطَّوافِ فحضر باستِعجال، ووجد رجُلاً بالباب فقال له: قِف حتى تَتِمَ زيارةُ الملائكة النُّورانية، وبعد حين دخل عليه فلما رآه سرَّهُ وبلَغَ به مُنْتهى الآمال، ثم أخذه ودخل به الكعبة وقام داعِياً بالدَّعوات الخيرِية، ثم رجع به ﷺ فإذا بمنَادٍ من حَضْرَةِ الكبيرِ المتعال قائلاً: معاشِرَ الخلائِقِ هذا صَفِيِّي محمدُ بنُ عبد الله صَفْوَةُ البريَّةِ، طُوبى لِثَدْيٍ أرْضَعَه ولعبدٍ كَفَلَهُ فاحترامٍ وإجلال. فتزاحمَتْ عليه حينئذٍ السُّحُبُ والطيور والملائكة الروحانية، وطلب كلٌّ كفالتَه ورضاعَه حتى يُجاوِزَ سِنَّ الأطفال، ثم فاز برضاعِهِ وكفالتِهِ الأشخاص الإنْسِيَّة، فظهَرَتْ مَزِيَّة بني آدَمَ كما ظهرت بظهورهم على شَكْلِهِ في المِثال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينْيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

ثم بعد أن أرضَعَتْهُ أُمُّهُ أرْضعته ثُوَيْبَةُ الأسلميَّة التي أعتقها أبو لهبٍ حين بشَّرَتْهُ به قبل النساءِ والرجالِ، ثم ساقت يدُ اليُمْنِ والسَّعْدِ إليه حلِيمة السَّعدِيَّة، فوضعت يدها على صَدْرِهِ فتبَسَّم وصعِدَ منه نُورٌ شقَّ أرجاءَ السماءِ في الحال. فرفعَتْهُ وناولَتْهُ ثَدْيَها الأيْمَنَ وقَبْلَهُ لم يكن فيه ما يُغِذِّي ابنها بالكُلِّيَّة. فدَرَّ في الحالِ فأرْوَاهُ ثم حوَّلَتْهُ إلى ثَدْيِهَا الشِّمال، فأعرضَ عنه وتركه لأخيه عَدْلاً وإنصافاً من نشأتِهِ الرَّحَمُوتية، وكان معها زوجها ومعهما شاةٌ لا تَبِضُّ بقَطْرَةِ لبنٍ من شدَّةِ الجهد والهُزال فحَلَبُوها فأرْوَتْهُم وذلك من إرْهاصاتِهِ الجَلِيَّة فرجعت به إلى أهلها بغِبْطَةٍ وسرورٍ واحتفال، وأذِنَ الله للأرض أن

تنشر بركَتَها فصاروا في عِيشةٍ مَرْضِيَّة، فسُمِّي ذلك العام عامُ الفتح وصحَّتْ فيه الأبدان ونَمَتِ الأموال.

ثم خرج مع أخيه سَعْياً إلى الفَيافِي بقصدِ الرَّعِيَّة، فأتَتْهُ الملائِكةُ فشقَّ جبريل صدرَهُ بحِكْمَةِ ذي الجلال وشقَّ قلبه فأخرج منه حَظَّ الشيطانِ عَلَقةً دمويَّة، ثم غسلَهُ بالثلج وملأهُ حِكْمة وبخاتَم النُّبُوَّةِ خَتَمَهُ على الكمال، فأتى حليمةَ ابنها فأخبرها فأخذتها شفَقَة قويَّة، فطَلَبَتْهُ هي وزوجها فوجداه فقصَّ عليهما قِصَّته بفصِيحِ المقال، فرجعت به إلى أُمِّه مخافة أن يُصاب لديها بحادِثة سماويَّة. وبعد يسيرٍ من الزَّمَنِ انتقلت أُمُّه إلى دارِ الكرامةِ والإفضال، ثم كفَلَهُ جدُّهُ عبد المطلب وحَدب عليه حَدْبةً قوية، وبعد وفاته كفَلَهُ عمُّه أبو طالبٍ وقدَّمه في المحبة على سائِرِ الأهلِ والعِيال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينْيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

ثمَّ لما مَضى خمسٌ وعشرون سنة من عمرِهِ سافر إلى الديار الشاميَّة، في تِجارةٍ لخديجة ومعه غُلامُها مَيْسَرة لِبُدُوِّ سَعْدِها قبل نُمُوِّ الأموال، فرأى مَيسرة مَلَكَينِ يُظِلاَّنِهِ من حرِّ الظَّهيرة الشمسية، ورأت خديجة ذلك مع نِسْوَة عند قدومه وقت الاستقبال، فخطَبَتْهُ لنفسها لتنال به السعادة الأبديَّةِ. فذكر ذلك لعَمِّهِ فزوَّجه بها بعد خُطْبةٍ جَمَعَتْ أسنى المفاخِرِ والخِصال، ثم بَنَتْ قُرَيشٌ البيتَ الحرام لِهَدْمِهِ بالمياهِ الأبْطَحيَّةِ. واختلفوا في رفْعِ الحجرِ ووضعه بمحلِّهِ وكَثُرَ القِيلُ والقال. ثم تراضوا بحكم أول داخلٍ من باب بني شَيْبَة فجأةً بغْتِيَّة. فأصلح الله أحوالهم بأن جعل حبيبَهُ أول داخلٍ في الحال، فقالوا: هذا الأمين وكلُّنا يَقْبَلُ ويَرْضى بحكمه في هذه القضية. فوضع الحجر في ثَوْبٍ وأمَرَهُمْ بِرَفْعِهِ بدون خصوصية لأحَدٍ ولا استِقلال، فلما أوصلوه إلى مقرِّهِ أخذه بيده ووضَعَهُ بِرُكْنِ هاتِيكَ البَنِيَّةِ. فالحجرُ يَمِينُ الله ووضعته يمين رسول الله فهنيئاً لمن استَلَمَهُ بِحُرْمَةٍ وإجلالٍ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينْيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

ولمَّا بلغ سنَّ الأربعين التي بها تمامُ القُوى الحِسِّيَّة والمعنويَّة بعثَهُ الله رسولاً مُبَشِّراً

لأهل الخيرِ ونذيراً لأهلِ الضلالِ. وكان بدؤُهُ بالرُّؤيا الصالحة الظاهرة مثل فلقِ الأنوار الصُّبحية، وذلك لسرِّ استعداده وتطوُّره قبل عالَم الحِسِّ في عالَم الخيال. فحُبِّبَ إليه الخلاءُ وكان يتعبَّدُ في حِراءَ مَحْرَى نُزُولِ الأنوارِ القدسية. وفي سبعةٍ وعشرين من رمضان جاءَهُ الملك فقال له: اقرأ بِهَيْبَةٍ وإجلالٍ. فقال: ما أنا بقارىءٍ. فغَطَّهُ حتى أجْهَدَهُ مع عِلْمِهِ بمكانته العَلِيَّة، ثم قال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء. ولم يزل مُتردِّداً من تَفصيلِهِ إلى الإجْمالِ. ثم قال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىءٍ. فغَطَّهُ غطَّةً ثالثة وهو مختِدُ العقلِ الأولِ من الحقيقة المحمديَّة. وفتَرَ الوَحْيُ سنين عدد الغَطَّاتِ ثم نزلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثّر: الآية ١] بعد إمهال. ثم تتابع الوحيُ فآمَنَ مِنَ الرِّجال الصِّدِّيق لاغْتِنامِ السَّبْقِيَّةِ، ومن الصبيانِ عليُّ بن أبي طالب بابُ مدينةِ العلم في الحالِ والقالِ، ومن النِّساء خديجة السابِقَةُ لتَلَقِّي المواهِبِ اللدُنِّية، وستَّةٌ من باقي العشرةِ المُبَشَّرين وزيدُ بنُ حارِثة ومؤذِّنُ رسُولِ الله بلال.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيَّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

ولما أراد الله إظهارَ شرَفِهِ بآياتِ الإسراءِ التي هي وراء أطوارِ العقولِ الخَلْقِيَّةِ، تَجَلَّى بأحَدِيَّةِ جَمْعِ الجَمْعِ وهي طَمْسُ النُّعُوتِ ومُتعلَّقاتها في سُبُحاتِ الجلال، فتعيَّنَتِ الحقيقةُ الأحْمديَّةُ في مقامِ قُرْبٍ أو أدنى بمَحْوِ الغَيْرِيَّةِ، وتطوَّرَتِ البشريَّةُ في مقامِ قابَ قوسَيِ الحقيقة المحمدية على غير مثال. ومن ظاهِرِ القِصَّةِ أنَّه أُهْبِط جبريلُ وباقي المُقرَّبين ببُراقٍ من الحضرةِ القُدْسِيَّةِ، فأسْروا به عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في زمانٍ لا يقبلُ التَّقسيم بحالٍ. وأمَّ هناك الأنبياء والرُّسُلَ والملائكة الروحانيَّة. ثم عُرِجَ به إلى السموات فلقِيَ آدم في الأولى متوَّجاً بالوقارِ والكمالِ، وفي الثانية ابنَيَ الخالَةِ يَحْيَى وعيسى، اللَّذَين بينهما مُشاكَلَةٌ ربَّانية. وفي الثالثة يوسف بن يعقُوب صاحب الصِّدِّيقية والحُسْن والجمال. وفي الرابعة إدريس الذي قال الله فيه ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: الآية ٥٧]، وفي الخامسة هارون المعروف في الأُمَّة الإسرائيلية بمحاسنِ الأخلاقِ بينهم وشرَفِ الخِصالِ. وفي السادسة موسى الذي اصطفاهُ الله برسالاته وبكلامه فكان صاحب الفَهْوانية. وفي السابعة إبراهيم مُتَّكِئاً على البيت المعمُورِ قائِماً بكفَالَةِ الأطفال، ثم رَقَى على جناحِ جبريل إلى سِدْرَةِ المنتهى بَرْزَخِيَّة انتهاءِ العلومِ الخَلْقِيَّة. ثم تدلَّى له رفْرَفُ الجبروتِ وزُجَّ به في حُجُبِ الجلالِ، فقطع سبعين ألف حِجابٍ من نورٍ وظُلْمة وسبح في الأنوار اللاَّهُوتِيَّة. فدنا من ربِّه فكان قاب

قوسين أو أدنى ورآه بعين بصَرِهِ من غير كيفٍ ولا مثال. وسمع كلامه القديم المُنزَّه عن الحروفِ والأصوات والجِهَةِ والأينِيَّةِ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: الآية ١٧] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: الآية ١١] كان الله ولا شيءَ معه وهو الآن على ما عليه كان في الأزَلِ. فتَلَى تَرْجُمان المحبَّةِ بلسانِ العناية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: الآية ٥] هِبَةً إلٰهيَّة. ثم رجع إلى الأكوان ودخل كرَّةَ الزَّمان والمكان وهبطَ إلى مكَّة كأنْ لم يُفارِقها بحال، وكان تطوُّرُه في قُرْبِهِ وبُعْدِهِ قدر لحظةٍ وقْتِيَّة. وأخبر قُرَيشاً بقصَّةِ إسرائِهِ وعُرُوجه فكذَّبَهُ أهل الغِوَاية والضَّلال، وصدَّقَهُ الصدِّيقُ الأكبَرُ ففاز بمَرْتَبَتي الصُّحْبة والصِّدِّيقية ولذا كان سمِيرَهُ في الحَضْرَةِ وخليفته على الأُمَّة وضَجِيعَهُ بعد الانتقالِ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

وكانت إقامتُهُ بمكَّة ثلاث عشرة سنة يُبلِّغُ الرِّسالة ويَعْرِضُ نفسهُ على الوفُودِ الحَرَميَّة، وفي هذه المدة قاسى ما قاسى من أذِيَّةِ مُشْركي مكَّة والطائِفِ حتى خُضِبَتْ رِجْلاه ونزل الدَّمُ في نَعْلِهِ وسال. ثم أذِنَ الله له في الهجرة إلى المدينة المُنوَّرَةِ بأنوارِهِ السَّنِيَّة، فتلقَّاهُ أنصارُ الله بالمحبَّةِ والسمْعِ والطَّاعة وإعلاءِ كلمة الله بالقتالِ. فأقام بها عشر سنين يُعَضِّدُ الدِّينَ بالرِّفْقِ والعُنْفِ والغزْوِ والسَّرِيَّةِ، حتى اتَّسَعَ الإسلامُ وأذْعَنَتْ ملوكُ فارِسَ والرُّوم لهَيْبَتِهِ بلا ريْبٍ ولا إشكالٍ، ثم حجَّ حجَّة الوداعِ وتَلى في الخُطْبَةِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] يا مَعْشَرَ الأُمَّةِ المحمدِيَّة، ثم رجع إلى المدينة وانتقل منها إلى الرفيقِ الأعلى الذي لم يَغِبْ عنه بل يتطوَّرُ فيه بحسَبِ مظاهِرِ الكمالِ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

وكان ﷺ أكْمَلَ الناس تحقُّقاً وتخلُّقاً بالأخلاقِ الإلٰهيَّةِ، فكان خُلُقَهُ القُرآنُ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢] من تجلِّياتِ الكمالِ. ومن سَعَتِهِ ﷺ تفاوُتُ الأبصارِ والبصائِرِ في شهُودِ بشرِيَّتِهِ كما انْتَهَتِ المعارِفُ إلى الحقيقة المحمدية. ولذا كان بعض الناس يراهُ أجمَلَ الخَلْقِ

وبعضهم يرى جمال الوجودِ مُقتبساً من ذاكَ الجمالِ، وبعضٌ يراهُ كأن لم يَرَهُ وتحجُبُهُ عن إدراكِ حقيقتِهِ الأنوارُ الجلاليَّةُ. قال للصِّدِّيق الأكبر: ما عرفَني غيرُ ربِّي قطعاً لأطماع العقول عن الوصول إلى ذاكَ المجالِ. وكان يُقابِلُ القوابِلَ بحسب استعداداتها بحُكم سرِّ القَبْضَتين في البَرِيَّةِ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠] سعةً إلٰهيَّة بعُدَتْ عن العبارَةِ والإشارة والمقالِ. قال ﷺ: «أُمِرْتُ أن أُخاطِبَ الناس على قَدْرِ عقولهم» تنزُّلاً ورحمةً عموميَّة. ومن كمال سعَتِهِ ﷺ تطوُّرُ بشَرِيَّتِهِ بين الخلْقِ حتى يُوصَفَ وتُضْرَبَ له الأمثالُ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

فمن ذلك ما ورد في شمائِلِ خَلْقِهِ وخُلُقِهِ من الآثارِ العَلِيَّةِ السَّنِيَّة. فقد رُوِي أنه أكْمَلُ الناسِ عقلاً وأجْمَلُهُمْ خَلْقاً وأحْسَنُهُمْ خُلُقاً وأطْوَلُهُمْ يداً في النَّوالِ. عَظِيمُ الهامَةِ مُعْتَدِلُ القامَةِ مُشْرَبُ اللونْ بين الحُمْرَةِ والصُّفْرَةِ ذو جبهَةٍ نُورانِيَّة، ليس بالمُطَهَّم ولا بالمُكَلْثَم كأنما الشمس تجري في وجهِهِ بالغُدُوِّ والآصالِ، أدْعَجُ العينين أزَجُّ الحاجِبَيْنِ، رجِلُ الشَّعْرِ ذو وَفْرَةٍ جمالِيَّةٍ، طويلُ العُنُقِ كأنه جِيدُ دُمْيَةٍ أو كأنما صِيغَ من فِضَّةٍ في الصفاءِ والاعتدالِ، أشْعَرُ المَنْكِبَيْنِ واسِعُ الصَّدْرِ له مَسْرُبَةٌ شَعْرِيَّةٌ، ضَخْمُ الكَرادِيسِ وبين كَتِفَيْهِ خاتَمُ النُّبُوَّةِ قَدْرَ زِرِّ الحِجالِ، سَبْطُ العَصَبِ مَنْهُوسُ العَقِبِ سائِلُ الأطرافِ مُفَلَّجُ الأسنانِ الدُّرِّيَّةِ، أشْنَبُها إذا ضَحِكَ رُؤِيَ النور يخرج من ثناياه واسِعُ الفمِ فصيحُ المقالِ، وأُوتِيَ جوامعَ الكلمِ ومجموعِ الحكم وعرقُهُ كاللؤلؤِ وعرفُهُ أزكى من الروائحِ المِسْكِيَّة، مَسِيحُ القدمين إذا مشى في الصَّخرِ أثَّرَ فيه ولا أثَرَ لهما في الرِّمالِ مُجَرَّدٌ عن كثافَةِ الحِسِّ فليس له ظِلٌّ في الشمس كذلك الذُّبابُ لا يقعُ على ذاتِهِ النُّوريَّة. من رآهُ بديهَةً هابَهُ ومن خالطَهُ معرفَةً أحبَّهُ وقدَّمَهُ على النفسِ والأهْلِ والمالِ. وكان ﷺ شديدَ الحياءِ لا يُثْبِتُ بصَرَهُ في وجه أحدٍ، يُلاقِي الناس بالبشاشة وحُسْنِ الطَّوِيَّةِ، ويُكْرِمُ الدَّاخِلَ عليه ويؤثِرُهُ بالوسادة ويَقْضِي حاجَةَ الكَبيرِ والصَّغيرِ من الأطفالِ، وكان يقول ناعتُهُ: لم أرَ قبلَهُ ولا بعدَه مثلَهُ في جميع الخِصالِ المَرْضِيَّة. وكيف لا وهو المُكَمَّلُ وبه الكَمالُ وبُعِثَ خاتِماً ومُتَمِّماً لمكارِمِ الأخلاقِ في جميعِ الخِصالِ.

وإلى هنا انتهت بنا سفِينةُ السَّبْحِ في لُجَجِ هذا البحرِ الذي لا ساحِلَ له ولا أيْنِيَّة، وقَصُرَتْ بنا خُطى المقالِ في ميدانِ هذا المجالِ الذي وقَفَتْ دُونَهُ عقولُ فُحُولِ الرِّجالِ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلمِ ذِي الجلال

* * *

اللَّهُمَّ إنَّا نَحْمَدُكَ حَمْداً يليقُ بجلالِ مَجْدِكَ وبعظيمِ عِزَّتِكَ القَيُّوميَّة، باذِلِينَ من الشُّكْرِ ما يُوافِي أيادِيَ مِنَنِكَ التي من أعظَمِها نَسْجُ مَوْلِدِ إنسان الكمالِ، ونُصَلِّي ونسلِّمُ على سيِّدِنا محمد الفاتِح لما أُغْلِقَ من المظاهرِ الوجوديَّة، والخاتِم لما سبق منها وهو الرَّحْمَة العموميَّة للأوَّلين والآخِرِينَ من غير انْفِصالٍ، ناصِرِ الحقِّ بالحقِّ، وفي قولِكَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] إشارَةٌ جَلِيَّةٌ، والهادي إلى صراطِكَ المستقيم وهو صراطُكَ المستقيم وعلى صحابَتِهِ والآلِ حقَّ قَدْرِهِ ومقدارِهِ العظيمِ الذي لأجْلِهِ قَرَنْتَ اسمَهُ مع اسمِ ذاتِكَ العَلِيَّةِ.

اللَّهُمَّ إنَّا نتوجَّهُ إليك بنُورِ وجهِكَ الكريم، وباسمِكَ الكبيرِ الأعظمِ الذي فتحتَ به على كُمَّلِ الرِّجال، وبكلماتِكَ التامات كلها وصفاتِ ذاتِكَ العظيمةِ وآياتِكَ القُرْآنية، ونتوسَّلُ إليك بِحُرْمَةِ سيِّدنا محمدٍ وبِسِرِّهِ وببركَتِهِ وبجاهِهِ عندَكَ يا كبيرُ يا مُتَعال، وبشريعَتِهِ وبحقيقَتِهِ وبِعِرفانه وبِقُرآنِهِ الآياتِ الجَلِيَّة، وبعُبُودِيَّتِهِ وولايَتِهِ ونُبُوَّتِهِ ورسالَتِهِ التي انْزاحَتْ بها ظُلُماتُ دُجَى الضَّلالِ، وبكمالِ إنسانِ بشَرِيَّتِهِ وبِبُطُون غَيْبِ أحمديَّتِهِ وبجمالِ ظهورِ حقيقتِهِ المُحَمَّدِيَّة وبآلِهِ وصحابَتِه وبِقُطْبِ وراثَتِهِ وخَتْمِ ولايتِهِ مِيزَابِ رحماتِكَ من يَدِ الإفْضالِ، أنْ تُغَطِّي أوصافَ نَقْصِنا بِسِتْرِ كمالاتِكَ الرَّحَمُوتيَّة، وأن تدُلنا بك عليك دلالةً تحفَظُنا بها من الزَّيْغِ والضَّلال، وأن تَجْذِبنا بك إليك عنَّا حتى لا نشهَدَ إلاَّ إيَّاكَ جَذْبَةً قويَّة. وأن تُفْنِي عينَ وُجُودنا في حقيقةِ وجودِكَ المُنَزَّهِ عن الحلولِ والاتِّحادِ والاتِّصالِ، وأن تُعَشِّقَنَا وتُحَقِّقنا ببقاءِ ديمُومِيَّة جمالِ ذاتِكَ العَلِيَّة وأن تَرْضَى عنَّا رِضاءً لا سَخَطَ بعده، وأن تُدِيم لنا النظر إلى وجْهِكَ الكريم في دارِ الكرامَةِ والإفْضالِ، وأن تُكمِّلَنا بكمالِ صَفِيِّكَ ونَجِيِّكَ الذي لولاهُ لما ظَهَرَتْ هذه الأعيانُ الوجوديَّة، وأن تُغرِقنا في بحر محبَّتِهِ التي هي عينُ محبَّةِ ذاتِكَ وصفاتِكَ والأفعال، وأن تجْمَعَ شملنا بحَسَبِهِ ونسَبِهِ وأن تُديمَ لنا في الدُّنيا والآخِرَةِ شُهُود ذاتِهِ النُّورِيَّة، وأن تفتح علينا فتحَ العارفين وأن تجعلنا من خواصِّ عبادِكَ المُقَرَّبين الهائِمِينَ في ذاك الجمالِ، وأن تُغْنينا عمَّن سِواكَ ولا تُسلِّط علينا من لا يخافُكَ لجَهْلِهِ بسَطْوَتِكَ القوِيَّةِ، وأن تَكْفينا شماتَةَ الأعداءِ وعُضالَ الدَّاءِ وخَيْبَةَ الرَّجاءِ في الحالِ والاسْتِقبال وأن تُغَطِّي سُوءَ أدبِنَا بأسْتارِ حِلْمِكَ وتَمْحُو عَظِيمَ جُرْمِنا بمَحْضِ عَفْوِكَ حتى نكونَ أهلاً للإجابة في كلِّ قضيَّةٍ.

اللَّهُمَّ إنَّ عطاياكَ وُجُودِيَّةٌ وخطايانا عَدَمِيَّةٌ فلا تقطع عنا الوجودية بسبب العدمية يا عظيم الإفضالِ، وقد قلت: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠] وأنت تعلمُ سِرَّنا

وجَهْرَنا ولا تَخْفَى عليك خَفِيَّةٌ.

اللَّهُمَّ أعْطِ كُلاً مِنَّا سُؤْلَهُ في الدُّنيا والآخرةِ وأمِّنْهُ في تقلُّباتِ الأحوالِ، اللَّهُمَّ حقِّقْ رجاءَنا وأجِبْ دُعاءَنا يا دائِمَ المعروفِ يا قريبَ الإحسانِ يا واسِعَ العَطِيَّةِ، يا مُتَفَضِّلاً بالإيجادِ والإمْدادِ والإيمانِ قبلَ السُّؤالِ.

اللَّهُمَّ وأصْلِحْ من كان في صلاحِهِ صلاحُ المسلمين وسدِّدِ الولاةَ وعَطِّفْهُمْ على الرَّعِيَّةِ وأدِمْ عِزَّكَ وخَيْرَكَ على من تسبَّبَ في نَشْرِ بُرُودِ هذا المولِدِ وأصْلِحْ له وللحاضرين جميع الأحوالِ واجعلنا وإياهم من خواصِّ هذه الأمَّةِ التي جعل الله فضلها فوق أطوارِ العقول البشريَّة، لما ورد أن فضلها على باقِي الأُمَم كفضْلِ الله على عبادِهِ وليس فوق هذا كمالٌ. واخْتِمْ لنا بحُسْنِ الخاتِمَةِ وأتْحِفْنا بخصائِصِ القَبُولِ والمَعِيَّةِ. سُبْحان ربِّك ربِّ العِزَّةِ عمَّا يَصِفُونَ وسلامٌ على المُرْسَلِينَ والحمد لله ربِّ العالَمِينَ على كُلِّ حالٍ.

* * *

اللَّهُمَّ صلِّ على الفاتحِ لما أُغْلِق من التعيُّنات العينيّةِ
والخاتِمِ لما سَبَقَ منها في عِلم ذِي الجلال

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ وسلم على سرِّ الحقيقةِ الفردانيَّةِ، ومظهرِ الجودِ في السرِّ والعلانيةِ، نقطةِ إحاطة دائرة القيومية في الحال والماضي والاستقبال، ومرآة الألوهية، التي ظهر منها تجلي الجلال والجمال، الروحِ الكلِّي المخصوص بأول التجلِّي، الظاهرِ من ميم عِلْمٍ، الأحدِ بحقيقة مُسَمى أحمد مجموعِ نعوت أسماءِ الله الصَّمَدِ، الباطنة بوحدتها في واحديةِ محمد، سلطانِ لولاك لولاك، إفاضةِ رحمانيةِ وما أرسلناك إلاَّ رحمة يضيءُ الوجودُ بِسَنَاك، مظهرِ الكرمِ بإنا أعطيناك، وجهةِ صلاةِ الأزلِ المأمورِ بها أهلُ الإيمان في الكتابِ المنزَّل، اللهم صلِّ وسلِّم على من تفصَّلَتْ منه عوالِمُ الموجوداتِ غيبُها ومشهوداتُها وظهرت منه عوالِمُ الناسُوتِيَّاتُ معقولاتها ومحسوساتها الدرةِ البيضاء التي لا تقبلُ التقسيمَ، وسرِّ الاستواءِ وهو عرشُك العظيمُ، ولوحُكَ المحفوظُ المنعوتُ بياسين، جامعُ العوالِمِ بذاته علويِّها وسفليِّها بإشارةِ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢]، وهو الذي عيَّنْتَهُ بنُعُوتِك فدعوتَهُ بالرؤوفِ الرحيم، وملَّكته زِمام المُلكِ ومقاليدَ الأمورِ، وأظهرت صراطَهُ المستقيم بين القبضتينِ لحكمةِ سرِّ البطون والظهورِ، القائِمُ بكلِّ صفةٍ وموصوفٍ ومعنى، المخصوصُ بقاب قوسين أو أدنى، الظاهر من سعَةِ فَلَكِ وُجُودِهِ وَجُوده عدمُ الحصرِ في الممكن والتكوين المنحصِرِ في دائرةِ حقيقةِ الخَلْقِ والأمْرِ فتبارك الله أحسنُ الخالقين، اللهم صل وسلم على من انفرَدَ بعروسية المملكة الذاتية، واختص بمظهر الأسماء والصفات والمعاني والمعنوية، برزخِ البحرين عند الالتقاءَ الثابتِ بإشارة ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: الآية ١٧]، منتهى سدرةِ علومِ الأولين والآخِرين، التي يتردَّدُ الأمينُ بينها وبين الأنبياءِ والمرسلين، فما عرَفَكَ من عرفك إلاَّ به، وما وصل من وصل إليك إلاَّ بسببه، نبيِّ الأنبياءِ والمرسلين، فكان نبيّاً حين لا آدمَ ولا ماءَ ولا طين المرموز في سرِّ قولِك: «كنت كنزاً مَخْفِياً فأحببتُ أن أُعْرَفَ فخلقتُ خلقاً فتعرَّفْتُ إليهم فَبِي عرفوني» كما ورد، فأظهرت سرَّ العدد في بطون حقيقة محمد، فصار هو الدالُّ بك منك عليك، والهادي بك منك إليك، يا هادي يا دليلَ كلِّ مدلولٍ يا من تنزَّهَ عن الاتحادِ والحلولِ، يا من ليس كمثله شيءٌ بل ليس معه شيءٌ كما ظهر ذلك لأهلِ العقولِ، أسألك بك وبكلِ اسم سُئِلتَ به فيما مضى أو تُسأل به فيما لا يزال،

وأتوسل إليك بعظيم قدرِه عندك، وأنت المجيبُ لكلِّ من به توسلَ، أن تُصلي عليه صلاةً تَليقُ بعظمةِ ذاتِك وبقدْرِ عظمةِ ذاتِه عندك لأنك أدرى بكمالاتِهِ التي أودعتها في ذاتِه، وتُضاعِفَ تلك الصلاة مضاعفةً تستغرقُ عدَّاً أعدادِ التفصيلِ والإجمالِ التي صلَّى عليه بها جميعُ المُصلِّين فيما مضى وفيما لا يزال، وفوق ذلك مما لا تدركُهُ الأوهامُ ولا الظنونُ، وتدومُ بدوامِ مُلكِك، وتتضاعف بعدد ما تعلَّق به علمكُ المُحيط بما كان وما يكون في كلِّ نَفسٍ ولَمحةٍ ولحظةٍ وطرفةٍ، وأقلَّ من ذلك وتتجدَّدُ بتجدُّدِ الشؤون، يا من أمرُهُ بين الكاف والنونِ، ومَن إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون، وأسألك بما سألتُك به أن تجعل هذه الصلاة مقبولةً عندك بقَبُولِهِ، وأن تجمع بها شَمْلِي لديكَ بشَمْلِهِ، حتى أتحقق اتصالَ جُزئي بكُلِّي، وكُلِّي بأصلي، وظاهِرِي بباطني وباطني بحقيقتي، واكْسِنِي حُلَّةَ نورٍ من معانيه، واسْقِنِي من بحرِ عِلمِهِ اللدُنِّي حتى أُنسبَ إليه، وأشْهِدْني مشهَدَ غيبِهِ في البطونِ والظهورِ، واكشِفْ ظلامَ بَشَرِيتي بنورِ حقيقتهِ يا نورَ النورِ، وانشلني من بحارِ غَفْلتي حتى أتحقق رجوعي من غُربتي، وحقق لي هناك حسنَ خلاصي، واجعلني من ذوي الاختصاصِ، فإنك قلتَ وقولُكَ الصدقُ ووعدُكَ الحقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: الآية ٦٤] اللَّهم اجعلني من أهلِ هذا الوُجْدان، وممن سبقَتْ لهم العناية من أهل هذا الشان، يا حنَّانُ يا منَّانُ، يا دائمَ المعروفِ يا قريبَ الإحسانِ، يا من لا يشغلهُ شانٌ عن شان، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً. سبحان ربِّك ربِّ العزَّةِ عما يصفون وسلامٌ على المرسلينَ والحمد لله ربِّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ إني أسألك بك منك إليك سؤالاً يليق بجلالِك وجمالِك وكمالِك، يتوجَّهُ من ذاتِك لذاتِك أن تصلي بصلاتِك مظهر الإفضال وجوهرِ الكمالِ، على سيِّدِ الرجالِ، وصلاتِك الفاتح الياقوتة الفريدةِ، صلاةً تستغرقُ عدّ أعدادِ من صلّى بهما وبغيرهما من الصلوات الموجودة والمزيدة، على الفردِ الجامعِ مظهرِ أَيْنِيَّةِ هُوِيَّتِكَ، والقُطبِ الذي دارتْ عليه شؤونُ ألوهيتِك، محمَّدك المحمودِ، ومطلوبِك من الوجودِ، مُصْطفاكَ ومُجتَبَاكَ، وجهةِ فَهْوَانِيَّةِ لولاك لما خَلَقْتُ الأفلاك، صلاةً تفتحُ لقارئِها للدخول في حضرتِك كلَّ باب، وتَزُجُّ تاليها في أنوارِ شهودِ أحديتِك يا كريمُ يا وهَّابُ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلِّم حق قَدْرِهِ العظيمِ عندك يا عظيمُ، ومقدارِهِ الكريم يا فتاحُ يا عليمُ، سبحان ربِّك ربِّ العزَّةِ عما يَصِفون وسلامٌ على المرسلينَ والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

ونختم بهذه القصيدة لسيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه.

وعدتَ الذي يدعو وها أنا سيِّدي ... دعوْتُكَ مُضْطراً وأنت سميعُ
وحقَّقْتُ يأسِي من سِواكَ لِفَقْرِهِ ... وجِئْتُكَ مُحْتاجاً فكيفَ أضِيعُ
ونادَيْتُ والآمالُ فِيكَ قَوِيَّةٌ ... وقلبي من ضَرْبِ الذُّنُوبِ وجِيعُ
وفي عَمَلي سُقْمٌ وعِلْمِي شَهْوَةٌ ... وفي الصَّدْرِ رَوْعٌ للحسَابِ مَرُوعُ
أَتَطْرُدُنِي عن بابِ فَضْلكَ سيِّدِي ... ورَوْضُكَ للعَافي الفقيرِ مَرِيعٌ
وكيفَ يُرى ظَنِّي لديْكَ مُضَيَّعا ... وعندي على طَرْدِي إليك رُجُوعُ
وهل لي مِنْ مَوْلىً سِواكَ أرُومُه ... تعالَيْتَ وَصْلي مِنْ سِواكَ قَطِيعُ
وأيُّ نوال غيرُ فضلِكَ يُرْتجى ... وأيُّ حِمىً إلاَّ حِماكَ مَنِيعُ
لَئِنْ حجبتني عن نَوَالِكَ زلَّةٌ ... تلظَّتْ لها مني حَشَا وضُلُوعُ
وأخْلَدَنِي منها إلى الأرْضِ شَهْوَةٌ ... وقَهْقَرَنِي وَجْدٌ بها ووُلُوعُ
فما بيدِي حَوْلٌ ولا لي حِيلَةٌ ... سِوَى أنَّني نحو الدُّعاءِ سريعُ
بإذْنِكَ تَوْفِيقي وفَضْلُكَ واسِعٌ ... إذا لَمْ تُوَفِّقْني فكيفَ أُطِيعُ

أَسَوِّفُ بالإقلاعِ قَلْباً مُقَلَّباً   وعالِم حِلْمٍ منكَ فِيكَ طَمُوعُ
وقد صَدَّنِي عن ذاكَ قلبٌ مُغفَّلٌ   له كُلَّ يومٍ في هَوَاهُ وُقُوعُ
عسى أثَرُ العِصْيانِ بالذَّنْب يَنْمَحي   ولِلَّهِ في أهْلِ الرَّجاءِ صَنِيعُ
فكَمْ سَعَةٍ وافَتْ عليَّ حين شِدَّةٍ   وقد يُرْتَجى بعدَ الغُرُوبِ طُلُوعُ

* * *

وهذه القصيدة لسيدي العربي بن السائح، وقد سمعنا أن فيها أسراراً عظيمة.

اللَّهُ أكْبَرُ لا كَبِيرَ سِوَاهُ   جَلَّتْ مَحامِدُهُ وعَزَّ ثَناهُ
هادِي العِبادِ إلى سَنا عِرْفانِهِ   لولا التَّفَضُّلُ ما اهْتَدَوا لِسَنَاهُ
مَلِكُ المُلُوكِ وحُكْمُهُ في خَلْقِهِ   ماضٍ فلا حُكْمٌ يُرَى لِسِوَاهُ
وهو السَّلامُ فلمْ يَزَلْ مُتَقَدِّساً   ذاتاً ووصْفاً في كَمَالِ غِنَاهُ
سُبْحانَهُ القُدُّوسُ في حَضَرَاتِهِ   عَنْ كُلِّ ما لا يَنْبغي لِعُلاهُ
حَقّاً رِدَاءُ الكِبْرِياءِ له فما   أرْدَى المُنازِعَ فيهِ ما أشْقَاهُ
وهو الحفِيظُ لنا وليسَ يَؤودُه   في أرْضِهِ حِفْظٌ ولا بِسَماهُ
وهو اللَّطِيفُ لما يشاءُ حقيقةً   مَنْ حَفَّهُ باللطْفِ منهُ كفاهُ
حَسْبِي العَلِيمُ بكُنْهِ حالِيَ كافِياً   في كُلِّ ما أرْجُوهُ أو أخْشاهُ
يا حَيُّ يا قيومُ يا مَنْ كُلَّما   ناداهُ مُضْطَرٌّ أجابَ دُعاهُ
أنْتَ الجَلِيلُ الفَرْدُ والصَّمَدُ الذي   يُعْطِي الذي يدْعُوهُ كلَّ مُناهُ
يا رَبَّنا يا رَبَّنا يا رَبَّنا   يا رَبَّنا يا رَبُّ يا رَبَّاهُ
يا رَبِّ بالذَّاتِ العَلِيَّةِ باسْمِهَا   بِمَصُونِ سِرٍّ فِيهِ يا غَوْثاهُ
اكْشِفِ كُرُوبَ المُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ   وأغِثْهُمُ مَنّاً بِنَصْرِكَ يا هُو
واكْبِتْ مُصِرَّ الكَيْدِ وارْدُدْ كَيْدَهُ   في نَحْرِهِ وَبَلاهُ ما أرْداهُ
وعلى حَبِيبِكَ مَنْ سَرَى في لَيْلَةٍ   لِعُلاكَ فابْتَهَجَ العُلا لِسُرَاهُ
أزْكَى الصَّلاةِ مع السَّلامِ المُرْتَضَى   ما أشْرَقَتْ أرْضُ النُّهَى لِسَنَاهُ
والآلِ والأصْحابِ ما دَاعٍ دَعا   بَادِي الضَّراعَةِ فاسْتُجِيبَ دُعاهُ